125339 ـ حكموا على إمامهم الذي توسل بحق النبي أنه مشرك ! وتركوا الصلاة وراءه وأحدثوا لغطاً

السؤال

في إحدى ليالي العشر تقدم بنا لصلاة الوتر أحد نواب إمام المسجد ، وهو رجل عامي ، غير متمكن في العلم الشرعي ، لكن فيه خير ، نحسبه كذلك ، ولا نزكي على الله أحداً ، فعندما كان يقنت سأل الله عز وجل بحق محمد ، فحصل لغط في تلك الليلة من قبَل بعض الشباب ، وصنفوا الرجل بأنه مشرك ! ولا يجوز لرواد المسجد أن يصلوا خلفه إذا تقدم بهم هذا الإمام ، وبناءً على هذه الفتوى فقد طبقت على أرض الواقع في الليلة التالية لليلة تلك المشكلة ، حيث انتظر بعض الشباب ـ وهم قلة قليلة مقارنة برواد المسجد ـ دخول ذلكم الإمام لصلاة الوتر إلى مؤخرة المسجد للقيام بجماعة أخرى تؤدى فيها صلاة الوتر ، وبعد صلاتهم هذه حصل في المسجد خلاف ، وانقسام ، فهل هذا الفعل صحيح ؟ وهل يصنف الإمام بأنه مشرك بسبب الدعاء بلفظة " بحق محمد " ؟ وإذا أخطأ إمام بمثل هذا الأمر هل يشرع للناس أن ينشقوا عنه ويُحدثوا جماعة أخرى تصلي بنفس وقت صلاة الإمام ؟ وما هي نصيحتكم لمن شملهم السؤال – الإمام ، والمنشقون ، بقية المأمومين ـ ؟ .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

ما فعله هؤلاء الذين حكموا على الإمام أنه مشرك ، لأنه سأل الله تعالى بحق محمد صلى الله عليه وسلم : فعل منكر ، وليس يعني هذا أن الإمام أصاب في قوله ، بل هو مخطئ ، وواقع في بدعة ، لكن ما فعله أولئك منكر أيضاً ، وهم لم يصفوا فعله بأنه شرك ، بل تعدى ذلك إلى الحكم عليه بأنه مشرك ، ورتبوا على ذلك عدم الصلاة خلفه ، والواجب عليهم التمهل في إطلاق الأحكام ، والرجوع لأهل العلم ، وعدم الجرأة في تكفير الناس .

والتوسل المشروع أنواع ، وقد ذكرناها في جواب السؤال رقم : (979) ، والسؤال بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وحقه ، وجاه الصالحين وحقهم : ليس شركاً ، وأعلى ما يقال فيه أنه وسيلة إلى الشرك ، لا أنه شرك بذاته .

قال الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله ـ :

أما إذا توسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم إني أسألك بجاه محمد ، أو بحق محمد : فهذا بدعة ، عند جمهور أهل العلم ، نقص في الإيمان ، ولا يكون مشركاً ، ولا يكون كافراً ، بل هو مسلم ، ولكن يكون هذا نقصاً في الإيمان ، وضعفاً بالإيمان ، مثل بقية المعاصي التي لا تخرج عن الدين ; لأن الدعاء ، ووسائل الدعاء : توقيفية ، ولم يرد في الشرع ما يدل على التوسل بجاه محمد صلى الله عليه وسلم ، بل هذا مما أحدثه الناس ، فالتوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم ، أو بجاه الأنبياء ، أو بحق النبي ، أو بحق الأنبياء ، أو بجاه فلان ، أو بجاه علي ، أو بجاه أهل البيت : كل هذا من البدع , والواجب ترك

ذلك ، لكن ليس بشرك ، وإنما هو من وسائل الشرك ، فلا يكون صاحبه مشركاً ، ولكن أتى بدعة تنقص الإيمان ، وتضعف الإيمان ، عند جمهور أهل العلم .

" فتاوى الشيخ ابن باز " (7 / 129 ، 130) .

وقال – رحمه الله ـ :

فلا يقول الإنسان : اللهم اغفر لي بحق فلان ، أو بحق محمد ، أو بحق الصالحين ، أو بحق الأنبياء ، أو بجاه الأنبياء ، أو بحرمة الأنبياء ، أو ببركة الأنبياء ، أو ببركة الصالحين ، أو ببركة علي ، أو ببركة الصديق ، أو ببركة عمر ، أو بحق الصحابة ، أو حق فلان ، كل هذا لا يجوز ، هذا خلاف المشروع ، وبدعة ، وهو ليس بشرك ، لكنه بدعة ، لم يرد في الأسئلة التي دعا بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك أصحابه رضي الله عنهم .

وإنما يتوسل بما شرعه الله من أسماء الله ، وصفاته ، ومن توحيده ، والإخلاص له ، ومن الأعمال الصالحات ، هذه هي الوسائل ... .

" فتاوى نور على الدرب " (1 / 356) .

وبه يتبين أن ما قام به أولئك الذين حكموا على الإمام بأنه مشرك : أنهم وقعوا في الخطأ ، من جهة الشرع ، ومن جهة الإمام ، فالواجب عليهم التوبة من فعلهم ، والندم على حكمهم ، وعدم العود لمثل هذا الفعل ، مع طلب السماح من الإمام .

ثانياً:

الصلاة خلف أهل البدع – وإمامكم إن استمر على توسله فيكون منهم ـ : جائزة ، إن كانت بدعتهم غير مكفِّرة ، ومع جواز الصلاة خلف الإمام المبتدع ، فإنه يجوز ترك الصلاة وراءه للصلاة في مسجد آخر زجرا له إن كان سينتهي عن بدعته بمثل ذلك ، ولا يجوز ترك الصلاة وراءه وعمل صلاة في وقت الجماعة الأولى ، ولا ترك الصلاة وراءه والصلاة في البيت ، بل شرط ترك الصلاة وراءه : نفع ذلك الهجر له ، وإقامة الصلاة في مسجد سنِّي .

وقد ذكرنا هذه المسألة بتفصيل في جواب السؤالين : (20885) و (40147) .

ثالثاً:

النصيحة للإمام أن يتقي الله تعالى ربَّه في اعتقاده ، وعبادته ، وأن يدع ما عليه أهل البدع ، وأن يلتزم طريق أهل السنَّة والجماعة .

والنصيحة لأولئك المنشقين : أن يتوبوا من جرأتهم على الفتوى ، وعلى الحكم على الإمام بأنه مشرك ، وأن يعتذروا منه ، وأن يرجعوا لمسجدهم ليقيموا الصلاة خلف إمامهم ، ولا يحل لهم الصلاة معه في الوقت نفسه في جماعة أخرى ، وليتحلوا بالأخلاق الفاضلة ، وليتدرجوا في دعوة الناس إلى الحق ، فإن الحق ثقيل، وغريب في كثير من ديار المسلمين.

نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقّاً ، ويرزقنا اتباعه ، وأن يرينا الباطل باطلاً ، ويرزقنا اجتنابه .

والله أعلم